النظم الإدارية في الدولة المهدية
(1303 - 1316هـ/ 1885 - 1899م)

د. عبدالكريم سومي سوميت آدم
أستاذ مساعد – كلية التربية – جامعة شرق كردفان

المستخلص:

هدفت الدراسة للتعرف علي الأنماط الإدارية للخليفة عبد الله من خلال دراسة سيرته ومعرفة النظم القضائية والمالية والإدارية التي أدار بها الدولة المهدية، بالسودان. أتبع الباحث المنهج الوصفي التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج من أهمها اتصفتإدارةالخليفة عبد الله بالحزم، استخدم الخليفة بالنمط الإداري المركزي المتشددة، اتصفت إدارته في أخريات أيامه بسرعة الانفعال، وبالحزر الشديد فلاتنطلي عليها الحيل، توصي الدراسة بالعمل على إعداد القادة الإداريين على قيم العدل والانصاف، وعدم التحيز، وقادة يتبع قولهم فعلهم.

Administratve systems in the Mahdist state
(1885- 1899 AD - 1303 – 1316H)

Abdul Karim Sumit Adam Dr.

Abstract:

The study aimed to identify the Administrative patrons of the KhalifaAbdulallah El Taishee through studying his bibliography and identifying the judicial, monetary and administrative systems that he ran the Mahdi State in Sudan. The researcher adopted the descriptive historical analytical and the descriptive analytical methods, the study achieved a number of results most notable are the administrative character of KhalifaAbdulallah El Taishee featured with extreme cautious so tricks cannot go around him, the study recommend to work on preparing administrative leaders on the morals of justice and fairness, and not to take one side, and leaders that what they say is followed

مقدمة:

الحمد لله المتصف بالعز والكمال والذي كل يوم هو في شأن، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مفتاح الظلام الشفيع يوم الازدحام وعلىآلة وصحابته القادة الكرام.

تعتبر الثورة المهدية من أوائل حركات التحرر الوطني ضد المستعمر، وهنالك عدة أسباب أدت إلى اندلاع هذه الثورة، منها الظلم والطغيان الذي أتسم به الحكم التركي المصري أنزاك، وإعزاز ونشر الدين الإسلامي في أنحاء العالم. وقائد هذه الثورة هو الإمام محمد أحمد المهدي

وخلفه في القيادة الخليفة عبد الله التعايشي وكان ذلك منذ أن بايعه المهدي بالمسلمية أثناء بناء قبة شيخه القرشي ود الزين، وحينها أصبح الخليفة عبد الله ذا مكانة مرموقة عند المهدي، ذلك لما اتصف به من كفاءة وخبرة، فكان مسئولاً عن الراية الزرقاء راية أهل الغرب في كردفان ودارفور، تلك المنطقة التي تمثل القوة الأساسية في جيوش المهدية[1] وقد ظلت ذكرى الثورةالمهدية راسخة في أذهان الأمة الإسلامية والسودانية منذ نشأتها، حيث أصبحت محورًا مهما لتناول الكتاب والباحثين بغرض الاستفادة من العبر والدروس وذلك الإرث القيم الذي خلفه أبطالها المناضلون. ومثلما رسختذكرىالمهدية في أذهان المجتمع السوداني، كذلك الحال بالنسبة للخليفة عبد الله قد أشتهر وذاع صيته، لأنه قائد عظيم احتفظت له البلاد بأعظم الذكريات لما بذله من تضحيات جساممن أجل صون وكرامة هذا الوطن العزيز. وبالرغم من الأدوار العظيمة التي قام بها الخليفة عبد الله إلا أنه كان عرضة لنقد أقلام الكتاب السودانيين والأوربيينمعاً، وكان من بين أولئك نفر من الأوربيين أمثال الأبأورهلدر مبشر نمساوي عمل في جبال النوبة حتي سقوط الأبيض، ثم الكولونيل سلاطين باشاكان حاكما علي دارفور حيث وقع في الأسر حين اكتساح دارفور، والمغامر الألماني كارل تفلر الذي اعتقل في وادي النيل شمال السودان، بالإضافة إلي نعوم شقير اللبناني، وكان يخدم في مخابرات الجيش المصري تحت إ مرة كتشنرو ونجت وغيرهم[2] وتتناول هذه الدراسة إدارة الخليفة عبد الله للدولة المهدية ووضعها تحت مجاهر التدقيق، وهدفها التعرف علي أهم الأنماط الإدارية للخليفة، ومعرفة مدى تطبيقه لمبادئ الإدارة في الإسلام كالشوري والقدوة الحسنة وغيرها، وكذلك التعرف على مدي تمتعه بالسمات والمزيات الشخصية للقادة، كالفطنة والزكاء، والقدرة التمييزية على إصدار الأحكام، وعدم التحيز وغيرها من السمات الشخصية للقائد.

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

1-ما الأنماط الإدارية التي اتسم بها الخليفة عبد الله.

2-ما مدي تطبيق الخليفة عبد الله لمبادئ التنظيم الإداري الإسلامي.

3-ما مدي تمتع الخليفة عبد الله بالسمات والمزيات الشخصية للقادة.

فروض الدراسة:

تمثلت فروض الدراسة في الآتي:

1. اتسمت إدارة الخليفة عبد الله بنمط الإدارة المركزية.
2. اهتم الخليفة عبد الله بمبادئ التنظيم الإداري الإسلامي لان الإسلام كان مصدر التشريع للدولة المهدية.
3. تمتع الخليفة عبد الله ببعض السمات الشخصية للقادة كالذكاء والفطنةوالدهاء.

أهداف الدارسة:

تسعى الدارسة لتحقيق الأهداف التالية:

1-الاطلاع على تاريخ الخليفة عبد الله والتعرف على الأنماط الإدارية.

2-التعرف على مدى تطبيق الخليفة عبد الله لمبادئ التنظيم الإداري الإسلامي.

3-إبراز السمات الشخصية والقيادية التي تمتع بها الخليفة عبد الله.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية دراسة التاريخ البشري لاستلهام العبر والعظات التي توجه مسار الحياة، ودراسة الجوانب الإدارية لشخصية الخليفة عبد الله وتحليلها ومن ثم استخلاص نتائج ودروس يمكن الاستفادة منها مستقبلاً بالإضافة إلى ذلك

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي.

الإطار العام:

إدارة الخليفة عبد اللهللدولة المهدية (1303- 1316هـ 1885- 1899م).

قبل أن نخوض في تلك النظم الإدارية للدولة المهدية نتعرف أولاً علي أسباب قيام ونجاح الثورة المهدية، وبالرغممن التعقيدات والتحديات الجسام التي واجهت الدولة المهدية إلا أنها استطاعت أن تحقق بعض أهدافها، إن ذلك يدل علي قوة العزيمة وصدق وصمود أصحابها الذين لا يعرف الوهن الي قلوبهم طريقاًوفي الحقيقة هم كالأسود الضارية خاضوا اللهيب وشتتوا كتل الغزاة الباغية.

أسباب قيام ونجاح الثورة المهدية:

هناك أسباب وتراكمات أدت إلي اندلاع الثورة المهدية ومن أهدافها الكبرى نشر الدين الإسلامي وتحرير البلاد من قبضة المستعمر وهناك مجموعة من الأسباب ذكرها شقير فيمايلي[3](1).

1. العنف: أي ذلك الناتج عن السياسة التي اتخذها إسماعيل باشا للتنكيل بالملك نمر عادت عليه وآلت إلى خروج الملك نمر عن طاعة الحكومة، فلجأ الي الحبشة، فكانت شرا عظيما على الحكومة هو وأولاده من بعده نحو خمسين عاماً، وعند ظهور المهدي كانت بقية أولاده في القضاريف أول من نصروه ورفعوا راية المهدية في السودان الشرقي.
2. حملات الدفتر دار الانتقامية: ان الدفتر دار الذي جاء من كردفان للاقتصاص من الجانين في قتل إسماعيل باشا عم غضبه المجرم والبريء ونكل بالجعليين شر تنكيل ولاسيما في شندي والمتمة والعيلفون، فإنهم وجدوا على الحكومة وقد ورثوا هذا الوجد الحقد أبنائهم.
3. الضرائب: توالي الحكام بعد الدفتر دار علي فرض الضرائب على الأهالي ولم يكن الأهالي متعودين عليها فاستثقلوها وكانت لمتكن موزعة بالقسط، بل كانت شديدة على الفقراء وخفيفة على الأغنياء وذلك نسبة في مقدرتهم على رشوة المأمورين وقربهم من الحكام، بالإضافة إلى ذلك ناطوا بتحصيل الضرائب الباشبزوق فاستعملوا منتهى القسوة والعنف في تحصيلها، لذلك أشتد نفور الأهالي من الحكام وتمكن الحقد في قلوبهم وتمنوا زوال هذه الحكومة، واستبدالها بأية حكومة مها كانت.

فهذه الأسباب وغيرها حملت الأهالي علي نصرة المهدي والوقوف معه ضد أولئك الغزاة.

وتتمثل أسباب نجاح الثورة في الآتي:

أ. ثورة أعرابي في مصر: عند قيام الثورة المهدية في السودان قام أحمد أعرابي في مصر فلم يتأتى للحكومة أن تتفرغ لأمر المهدي وتنجد السودان بالعساكر قبل انتهاء الثورة الإعرابية في مصر، ولم تنه هذه الثورة حتى عمت الثورة المهدية السودان كله واتسع الخرق على الراقع.

ب. ضعف الحاميات العسكرية: عند ظهور الثورة المهدي(1303- 1316ه 1885- 1899م) لم يكن في السودان كله رغم اتساع مساحته ووعرة مسالكه إلا (40490 رجلاً) موزعين علي الحاميات المختلفة في بعض المدن الخرطوم وكسلا والقلابات وكردفان وخط الاستواء، ولم تكن كل هذه الحاميات قوات نظامية بل كان من بينهم كثير من الباشبزوق غير متمرنين علي القتال في أن اهل السودان مطبوعون علي الفروسية والشجاعة وصدقو المهدي واحبو الموت معه في سبيل الله.

ج. التردد والارتباك الذي أظهرته الحكومة البريطانية حتى فقدت حامياتها الواحدة تلو الأخرى.

هذه الأسباب وغيرها ساعدت علي نجاح الثورة المهدية، وفي رأي أن من أهمها هي أن السودانيون كونهم مطبوعون علي الشجاعة لذلك كان النصر حليفهم في أغلب ميادين القتال، لان الهروب والتولي يوم الزحف عيباً وقد حزر القران الكريم منه ووعد الذي يولي بأعظم العقوبات قال تعالي:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) الأنفال:(16،15).وقد تمكن المهدي تعبئة المجتمع بالجهاد بتكثيف منشوراته المتواترة مبينا مغبة الخنوع والتقاعس عن الجهاد، لذا رغب كافة المسلمين بالخروج له، مبيناً لهم أن سيفاً سُل في سبيل الله أفضل من عبادة سبعين سنة، ومن صبر في الجهاد أفضل من عبادة سبعين سنة[4].

بالإضافة إلى ذلك أتصاف قائد الثورة بالصلاح والتقوى ظاهرياً أي ما سمعنا عنه. خيراً) قال تعالي: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ النحل (128)

وما يدل على تقواه يقول عنه محمد شريف في قصيدة طويلة:

فقام على نهج الهداية مخلصاً * وقد لازم الأذكار في السر والجهر

وكم بوضوء الليل كبر للضحى * وكم ختم القران في سنة الوتر

لذلك سقى من منهل القوم شربة * بها كان محبوبا لدي الناس في البر[5]

نشأة الخليفة عبد الله وهجرته إلي المهدي:

ولد عبد الله بن محمد بدارفور في ديار التعايشة تلك القبيلة التي ينتسب إليها وكان والده قد أشتهر بالتقوى والصلاح، ويريد أن يربى أبناءه تربية دينية فأحضر لهم فقيها يعلمهم علوم الدين وكان ابنه عبد الله لم ينتظم في الدراسة بل كان ينصرف الي الخلاء متأملا ومتفكراً حينا

ويخالط الناس حينا آخر.[6]وكان والده لا يكرهه على الانتظام في حلقات الدرس، ولربما قد رأي فيه ان يكون له مستقبلا باهراً، وذكر انه قد أخبره يوما بأنه سوف يصبح خليفة المهدي المنتظر، ومنذ ذلك الحين أخذ عبد الله يستعد لليوم الموعود، وظن في بعض الأحيان أن الزبير ود رحمة ربما كان المهدي حيث غزا دارفور منتصراً، ولكن أمله غاب في الزبير[7] وعندما انتشر حديث شيخ الجزيرة محمد احمد، ساور عبد الله أحساس أن ما سمعه عنه من صفات إسلامية حميد تيقن أنه المهدي المنتظر. ثم اتى عبد الله إلي محمد أحمد في الحلويين أرض الجزيرة حيث كان يشيد محمد أحمد قبة استاذه الشيخ القرشي، فآمن برسالته التي لم يذعها بعد ومنذ ذلك الوقت أصبح لعبد الله مكانة الاولي في قلب محمد أحمد فهو أول من آمن به وظل نفوذه يعلو كلما علا اسم المهدية وعندها لم يتردد المهدي في أن يكون التعايشي الخليفة الأول[8]. وتزايدت أهمية الخليفة في الفترة من الهجرة إلي أبا، وحتى سقوط الأبيض، مما أثار سخط الكثيرين من الأنصار، في 17ربيع أول سنة 1300هـ (25 يناير 1883م) أي بعد أسبوع من سقوط الأبيض حين أصدر المهدي منشورا عن مقام الخليفة عبد الله وصفه فيه بأنه خليفة الصديق المقلد بقلائد الصديق والتصديق، وخليفة الخلفاء وأمير جيش المهدية المشار إليه في الحضرة النبوية، وهو النائب للمهدي في جميع أمور الدين[9] والجدير بالذكر أن الخليفة عبد الله التعايشي عند قدومه للمهدي ذكر أنه كان في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره، وكان قوي البنية، إلا أن الشواغل قد أنهكت قواه، وأشتعل راسه شيبا ولم يتجاوز التاسعة والأربعين، وغلبت عليه في أخريات عهده وأيامه سرعة الانفعال، وكان شديد الحزر فلا تنطلي عليه الحيل والمداهنة[10]

الإدارة النشأة والمفهوم:

تلازمت نشأة الإدارة مع نشأت الجماعات الإنسانية، فقد أصبح تكوين الجماعة تعني البداية الحقيقية لتوفير حاجات المجتمع من طعام، وشراب وكساء، وقد تطلب هذا التكوين وجود قيادة لإدارة الأنشطة وتنظيمها، وتقوم بتوزيع المسؤوليات للأفراد بصورة أو بأخرى ومن ثم قيام هؤلاء الأفراد بتنفيذ ما يوكل إليهم من مهام ليساعدوا في تحقيق أعمال الجماعة[11]. وقد عرفت الحضارات القديمة أنماطاً متعددة من التنظيم الإداري، فعلي سبيل المثال الحضارة الفرعونية، فإن أبلغ أثر يشير إلى عبقرية المصريين القدماء في الإدارة هو بناء الأهرامات، فإن بناء هرم خوفو وحده يتطلب 2,300,000 صخرة متوسطة، هذا يدل علي إنهم عرفوا الكثير من المفاهيم الإدارية مثل التخطيط طويل الأجل لتنفيذ مثل هذا العمل العظيم [12].

ولكن مفهوم الإدارة كعلم قائم بذاته يرجع في بدايته إلي ظهور المجتمع الصناعي، في نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي حيث أصبحت الإدارة علم له أصوله وأهدافه ووظائف يقوم عليها، وأول من قام بدراسة الإدارة علي أساس علمي هو «فردريك تايلور»Frederick Taylor «في كتابه مبادئ الإدارة العلمية. ثم تطور مفهوم الإدارة تطوراً سريعاً بعد الحرب العالمية الثانية[13].

المفهوم:

الإدارة في اللغة: تعني الإلزام، يقال أدرتُ فلاناً على الأمر إذا حاولت إلزامه إياه[14] والإدارة

تعني: مركز الرياسة والتصرف[15]. واصطلاحاً هي علم وفن التعامل مع البشر واستقطاب تعاونهم وتنسيق جهودهم من أجل تحقيق أهداف معينة[16].

فروع إدارة الدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله:

تم تشكيل هيكل الإدارة والجهاز القضائي في حياة المهدي وراعى فيه مطابقة الشريعة الإسلامية، منشوراته التي بعث بها إلي القادة والامراء و بين هذه المنشورات كالداعي الي الجهاد قد تمكن الإمام المهدي من تعبئة كافة المجتمع للجهاد موضحاً مغبة الخنوع والتقاعس مبيناً لهم»» أن سيفاً سُل في سبيل الله أفضل من عبادة سبعين سنة، ومن صبر في الجهاد أفضل من عبادة سبعين سنة[17] ويذهب القدال إلي أبعد من ذلك مبيناً رأي المهدي بقوله» «إن الجهاد الذي يدعوا له مؤيد من عند الله تأييداً مادياً فحيث ما يكون المهدي مجاهداً يكون مع رسول الله صلي الله عليه وسلم، وصحبه وجنود الله»[18]

العمالات:

لكي يسهل علي الخليفة عبد الله أدارة الدولة الشاسعة والمترامية الأطراف قسم حكومته إلى عمالات يقوم على رأس كل منها عامل يمثل حلقة وصل بين السلطة العليا والأهالي ويهيمن علي الجيش والإدارة، ويقوم بتنفيذ الأوامر الواردة من العاصمة أم درمان، وكان لكل عامل مناديب يساعدونه في الأعمال الإدارية، كانت حتي سنة 1313ه - 1895م تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسة هي أم درمان الرجاف، السودان الغربي، السودان الشرقي[19]

النظام المالي:

إن نظام الدولة المهدية قام علي أسس الدولة الإسلامية لذلك سار تنظيم الشؤن المالية وفق ما قامت علية الدولة الإسلامية. بناء على ما سبق تكونت مالية الدولة المهدية من زكاة الماشية والماعز والاغنام وعروض التجارية وخمس الغنائم والجزية.

بيوت المال:

إن أول نواه لبيت المال نشأ صغيراً في قدير ثم كبر واتسع نسبة لكثرة الغنائم وكان في كل قسم من أقسام السودان الإدارية يوجد بيت للمال، وبيت المال العام في العاصمة ام درمان يستمد أمواله من مدينة ام درمان وماجورها وفائض بيوت أموال الأقاليم، ويصرف منة على موظفي بيت المال وعلي ال المهدي والخلفاء وإعداد الجيش، وهنالك بيتمال الملازمة وخصصت له أموال إقليم الجزيرة، يصرف منه على حرس الخليفة الخاص.[20] وهنالك أيضا بيت مال ورثة الحربية وترد إليه أمواله إلياسواق الخرطوم وثمن سن الفيل الوارد من خط الاستواء، كما هنالك بيت مال الخمس ويستمد دخله من إيرادات المراكب وأرباح ريش النعام وأرباح الصمغ وعشور البضائع الواردة من الخارج ويصرف منه على نفقات الخليفة الخصوصية وأعوانه المقربين.[21]ويلاحظ من خلال هذا العرض دقة التنظيم المالي وتحديد بنود الدخل والصرف، دون خلط، هذا يدل على أن هنالك إدارة محكمة اتسم بهاالخليفة التعايشي.

النظام القضائي:

ارتكزت دعائم الحكم والنظام القضائي على الكتاب والسنه ومنشورات المهدي وقد سار الخليفة علي درب الامام المهدي.وعندما استلم الخليفة السلطة وجه بإلغاء دعاوى أهل المناطق النيلية بمنشور جاء فيه. (قد أقتضي نظرنا أن جميع دعاوي أهل البحر ابتداءً من شهر الله الحرام 1302هـ أكتوبر1884) الذي هو تاريخ حضورنا ام درمان تكون مرفوعة كلها ولأتسمح سواء اكانت دمائيةاو جنائية،ماعدا الدين والأمانة ومال اليتيم، والحرية، من بعد التاريخ المذكور وهلم جرا ق بوجه الحق علي مقتضى نص الكتاب والسنة ومنشورات الامام المهدي وهذا على باب الرفق بالمسلمين ليلتفتوا لأخرتهم فيعمروها بصالح الاعمال.[22].وأراد الخليفة برفع هذه الدعاوي ليجعل معلماً بينه وبين المهدي وكأنه يظهر نهاية عهد وبداية عهد جديد، وهنالك عدة دواعي دعت الخليفة لهذه الخطوة منها أن الدولة المهدية لها ظروف خاصة أنها رفضت العمل بالنظام الوضعي للحكم التركي المصري، وألقت العمل بالمذاهب الأربعة، واعتمدت علي أحكام الكتاب والسنة ومنشورات المهدي، فالكتاب والسنة يحتاجان إلي معرفة ودراية لا سنباط الاحكام، ولذلك أراد أن يبعد الناس عن الانشغال بالتناحر والشحناء، فهذه المبررات وغيرها دعت الخليفة لرفع الدعاوي عدا المستثناة الأربعة التي تعتبر ظاهره ومعروفة في الكتاب والسنة، وهي الدين والأمانة ومال اليتيم والحرية. وشهد نظام القضاء تطوراً جديداً في عهد الخليفة بقيام محكمة في ام درمان سميت بمحكمة الإسلام، ورئيسها قاضي الإسلام، وتعتبر محكمة ابتدائية لام درمان وما جاورها ومحكمة استئناف بالنسبة للجهات التي تدخل في حكم المهدية[23] وقد شهد جهاز القضاء بعض التغيرات في فترة الخليفة، فقد ألغي الخليفة وظيفة الأمناء الذين كان المهدي قد فوض إليهم النظر في العرائض التي ترفع إليه، كما أحتفظ بمنصب قاضي الإسلام، وقد أستمر أحمد علي قاضيا للإسلام كما كان في أيام المهدي إلا أن مركزه أصبح أكثر قوة مما كان عليه في زمن المهدي، خاصة بعدما فقد الاشراف الامتيازات التي كانوا يتميزون بها في أيام المهدي.[24] وقد وجه الخليفة خطاباً إلي أحمد علي يذكره فيه بواجبات من يحتل منصب قاضي الإسلام، فقال أن قاضي الإسلام مقلد بوظيفة الشريعة المحمدية وهي أمانة الله ورسوله ومهديه، التي لابد من أدائها بإقامة العدل بين الناس وأنها مشروطة باتباع الكتاب والسنة، وان بيعة العهد لهذا المنصب تقتضي ممن يتقلده أن يدور مع الحق حيث دار وان يجعل الحق في فكره دائما حتي لا يكون منه أدني تهاون في العدل بين خلقِهِ. [25]

إدارة الجيش:

أولي الخليفة عبد الله أخيه يعقوب الاشراف العام على الجيوش، وتوجد عناصر وأقسام لهذا الجيش ومن أهم تلك العناصر العسكرية الملاز ميه بأيديه الأسلحة النارية، وكانوا بقيادة شيخ الدين الابن الأكبر للخليفة، وآلت لديهم تدريبات عسكرية على النمط التركي. والجدير بالذكر أن الخليفة قد قسم الجيش إلي سبعة أقسام.[26]

1. الملازمية القديم: وهم حرس الخليفة الخاص ومقامهم أم درمان حول منزله وأكثرهم من السود وقد تسلحوا بالبنادق.

2. الملازمية الجديد: وهم من السود والعرب وأنسأ الخليفة هذه القوة بعد اندحار ثورة الاشراف، وكان أميرهم عثمان شيخ الدين.
3. الكارة: وهم من وقع في الاسر من أفراد الجيش المصري، ومسكنهم طابية أم درمان.
4. **جيش الراية الزرقاء:** وهم جيشه القديم الذي كان يقوده أيام المهدي، وجعلهم تحت أمرة أخيه يعقوب المباشرة وجميعهم من البقارة، وغيرهم من أهل الغرب، مع بعض العجليين والدناقلة.
5. جيش الراية الخضراء: وهو جيش على ود حلو، ومعظمهم من أهل الجزيرة.
6. جيش الراية الصفراء: وهم جيش الخليفة شريف.
7. جيش الشرق: وهم قبائل شرق السودان البجة (ويضمالهد ندوة والبشارين وبعض العبابدة)وكانت قيادة هذا القسم لعثمان دقنه.

وهنالك أسماء لرؤساء هذه الأقسام العسكرية التي بينها.[27]

أ-الرأسمائة: وهو من يرأس مائة جندي.

ب-الأمير: هو حامل الراية_ أمثال الأمير عثمان دقنه أمير الشرق.

وكان لكل جيش يتكون من عدد من الأسلحة وهي:

1-الجهادية: وهم المشاة وسلاحهم البنادق وهم عصب الجيش.

2-الخيالة: وهم راكبو الخيل وسلاحهم السيف والبندقية.

3-الهجانة: وهم راكبوا الإبل، وسلاحهم كذلك السيف والبندقية.

4-الطوبجية: وهم رجال المدافع، ومعظمهم من رجال الجيش المصري الذين وقعوا في الاسر.

5-الحرابة: وهم أهل البادية وسلاحهم الرمح.

6-الخشخانية: وهم السود والعرب وسلاحهم بنادق الخشخان.

7-البلطجية: وسلاحهم البلطة، وهم من السود والعرب أيضاً.

مدي تمتع الخليفة بالخصال والمزيات الشخصية للقادة:

لقد تبين أن الخليفة كان يتمثل بالكثير من تلك الخصال كالجراءة في اتخاذ قراراته وعدم التردد، كما أنه كان يتمتع بمبادئ الإدارة في الإسلام حيث نجده تمتع بالكثير منها كالقدوة والمشاركة حتى شارك جيشه في ميادين القتال إلى أن قتل في ام دبيكرات بالقرب من الأبيض. ومن خلال القدوة الحسنة نجحت الإدارة الإسلامية في كسب ولاء أفرادها، وكان النبي ﷺ قدوة في التضحية والحلم والشجاعة وقتال العدو، وكان الصحابة الكرام عندما يشد القتال وتحمر الحدق يتقوا بالرسول الكريم من الطعان فقد ورد عن علي بن أبي طالبكرم الله وجهه أنه قال: « لما حمي البأس يوم بدر اتقينا برسول صلي الله عليه وسلم، فكان من أشد الناس وما يكون أحد أقرب إلي المشركين منه»[28]وكيف لا يكون كذلك فقد قال تعالي:فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. الأنفال 17.

ولكن الخليفة عبد الله تحيّز إلى أهلهالتعايشه او البقارة بصورة عامة مما أثار سخط

الكثير من القبائل النيلية الذين أطلق عليهم أولاد البلد، ومبرره في ذلك أن تزعزع ثقته المطلقة فيهم لذلك أحاط بمن يثق فيهم من ذوي القربي، فقرب نجله الاكبر عثمان شيخ الدين أعده للحكم، وجعل أخية يعقوب قائد جيشه وتولي قيادة الراية الزرقاء التي كان يقود هو أيام المهدي. ووجد شبيكة مبرراً لقيادة أخيه يعقوب حيث قال: يعد أخيه يعقوب جديراً لهذا المنصب، لذلك أخذ يطلع بأعبائه في إدراك تام لمسئولياته وواجباته، ونظراً لما كان يتمتع به من سعة الصدر ولين العريكة إلي جانب ما عرف عنه من كرم، وإن رجلاً بهذه الصفات كان يمثل عضداً وسنداً لأغني للخليفة عنه لمواجهة أعباء الحكم في دولة تموج بالاضطرابات.[29]

العلاقات الخارجية:

أهتم الخليفة عبد الله بالعلاقات الخارجية ويتضح ذلك من خلال الرسائل التي بعث بها إلي الملوك والسلاطين داخل السودان وخارجه، وأغلب هذه الرسائل أهدافها نشر الاسلام واقناعهم بفكرة المهدية وحثهم علي جهاد الكفار، ومن الملاحظ أن دعواته تلك لم تحظ بالنجاح في أغلب الأحيان. ومن بين تلك الرسائل حيث بعث برسالة إلي السلطان عبد الحميد سلطان استانبول يتهمه فيها بمولاته للأعداء الذين يريدون أن يطفئوا نور السلام، ومعارضة الدعوة المهدية طلب منه العمل بكتاب الله وسنة نبيه وجهاد الكفار وإخراجهم من الدولة الإسلامية والتكاتف معه لنصرة الدين الإسلامي، ولم تتوقف طموحات الخليفة عبد الله في نشر المهدية في مصر و استانبول فحسب بل بعث برسالة إلي الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا يدعوها إلي الإسلام وإتباع المهدية ويحذرها من مغبة رفض الدعوة بقوله: (أدعوك إلي الإسلام فإن اسلمي وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واتبعتي المهدي وأذعتني لحكمي، فإن سأقبلك وأبشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير،وإن كنت تظنين توهماً أن جيوش المهدية مثل عساكر أحمد عرابي...فهذا توهم فاسد وأن رجالالمهدية رجال إلاهيون.[30]

لكن هذه الرسائل لم تجد اهتماماً من قبل هؤلاء الملوك والسلاطين بالتالي سارع برفع راية الجهاد ضدهم. وكذلك بعث إلي يوحنا إنذارا ولما تجاهل يوحنا هذه الرسائل سير عليه جيشاً بقيادة حمدان أبوعنجة، فتوغل في الأراضي الحبشية منتهزا فرصة انشغال يوحنا بمواجهة الايطاليين الذين احتلوا مصوع، فاستهان يوحنا بالأنصار، ورأي أن يعقد معهم صلحاً ويطلب منهم التعاون معه لدرء خطر الإيطاليين، إلا أن الأنصار أثبتوا صمودهم لتحقيق أهدافهم، واشترط حمدان أبوعنجة علي يوحنا أن يعتنق الإسلام أولاً قبل الصلح، مما أغضب يوحنا فطرد الأنصار من القلابات ولكن هُزم ولقي مصرعه.[31](1)

هكذا كانت دعوة الخليفة عبد الله داخل السودان وخارجه حيث يستخدم أسلوب الرسائل فإذا فشلت أعقبها بالحرب وقد نجح في تحقيق بعض أهداف الإمام المهدي(ويرجع نجاحه إلي إصراره علي فرض تعاليم المهدي، والمحافظة علي ولاء اتباعه وإيمانهم بالدعوة المهدية بيد أن حظوظ الخليفة نبدلت عندما توالت عليه الهزائم في توشكي، وعثمان دقنة في سواكن وظهور بوادر التمرد بثورة قبائل الجنوب عليه.[32] وقد جسّد الخليفة عبد الله تعليم المهدية،

فأصبحت واقعاً ملموساً بتطبيقه لمحتويات وأفكار المهدية وهذا مكنة علي مدي أربعة عشر عام من إنشاء دولة متماسكة تحكمها إدارة واحدة رغم التحديات الداخلية والخارجية المتلاحقة.

الخاتمة:

بعد هذا العرض لإدارة الخليفة عبد الله للدولة المهدية تبين أن الخليفة كان بمثابة رجل الإدارة الحازم، فلولا حزمه وعزمه لانفرط الأمر من بين يديه وسادت الفوضى أرجاء السودان- كما هو ملاحظ بعد الإطاحة بالرئيس السوداني السابق عمر حسن أحمد البشير في ثورة ديسمبر المجيدة في العام 2019م - وخاصة بعد وفاة المهدي في سبتمبر 1301هـ-1884م فقد تفجر صراع قوي من قبل الإشراف بقيادة محمد شريف قائد الراية الحمراء فالأشراف يرون أنهم أحق بالخلافة منه نسبة لقرابتهم من المهدي، كما واجهة الخليفة حركات تمرد في غرب السودان، وتمرد وعصيان من بعض القادة مثل محمد خالد زقل وغيرهم، كما واجه الخليفة مشكلات خارج السودان كمصر والحبشة. فقد نجح الخليفة في القضاء على تلك الصراعات ثم أتجه إلى بناء دولة.

وخلاصة الامر توصلت الدراسة إلى عدة نتائج تتمثل:

نتائج الدراسة:

1. تميز الخليفة عبد الله بشخصية إدارية ذات حزم وعزم قادة بها الدولة المهدية لمدة(14عاماً).
2. استند الخليفة عبد الله علي الأسس الإسلامية وخاصة في القضاء والنظام المالي ومصادره.
3. استخدم الخليفة النمط الإداري المركزي المتشدد دون مراعاةلظروف الدولة الشاسعة المترامية الأطراف.
4. تميز الخليفة بشخصية إدارية شديد الحزر لا تنطلي عليها الحيل والمداهنة.
5. تحيّز الخليفة إلى أهله التعايشه او البقارة بصورة عامة مما أثار سخط الكثير من القبائل النيلية.
6. طرأتعلى الخليفة في أخريات أيامه سرعة الانفعال.
7. تمتع الخليفة بمبادئ الإدارة في الإسلام كالمشاركة حيث شارك جيشه في القتال إلى أن قتل شهيداً في ام دبيكرات.

الهوامش:

(1) عفاف محمد مكاوي أساليب المهدي في الدعوة الإسلامية مجلة الدراسات الإنسانية كلية الآداب جامعة دنقلا، رسالة دكتورة منشورة،2012م،ص3.

(2) عزام أبوبكر علي، العلاقات بين الخليفة عبد الله وقبائل السودان،1992م ص9.

(3) نعوم شقير، تاريخ السودان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط1، 2014م ص263.

(4) أبو سليم محمد إبراهيم منشورات المهدية ج1 إدارة المخطوطات المركزية، وزارة الداخلية، الخرطوم،ط2، 1964م ص185.

(5) نعوم شقير تاريخ السودان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم،ط1، 2014م،ص269.

(6) عزام أبوبكر علي،العلاقات بين الخليفة عبد الله وقبائل السودان،1992م.

(7) مكي شبيكة تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان د في القرن التاسع عشر،ت،ص690.

(8) عزام أبوبكر علي، العلاقات بين الخليفة عبد الله وقبائل السودان،1992م ص19.

(9) عزام أبوبكر علي العلاقات بين الخليفة عبد الله وقبائل السودان،1992م،ص70.

(10) مكي شبيكة تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان في القرن التاسع عشر د.ت،ص690.

(11) عرفات عبد العزيز، وبيومي ضحاوي: الإدارة التربوية الحديثة، القاهرة، المكتبة المصرية؛.1983م،ص23.

(12) عبد الحميد محمود النعمى ، الإدارة التعليمية وتحديات العصر، مكتبة الأنجلو المصرية:1997م، ص20).

(13) سيف الإسلام سعد عمر، الإدارة التربوية والتخطيط التربوي، مطبعة جامعة الخرطوم،2005م، ص12.

(14) ابـن منظـور أبيالفضلجـمال الديـن محمـد بـن مكـرم بـن منظـور. لسـان العرب.ط1.بـيروت: دار صـادر للطباعة،1411هـ-1990م.

(51)أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصر، المجلد الأول ط1،القاهرة عالم الكتب،2008م، ص783.

(61)أحمد إبراهيم أحمد، الإدارة المدرسية في مطلع القرن الحادي والعشرين ط1، القاهرة ،دار الفكر العربي 2003، ص15.

(17) أبو سليم محمد إبراهيم منشورات المهدية ج1 إدارة المخطوطات بالمركزية، وزارة الداخلية، الخرطوم،ط2، 1964م ص185.

(18) محمد سعيد القدادال الإمام لمهدي لوحة لثائر سوداني، الدار السودانية للكتب،،دار جامعة الخرطوم للنشر،1989م ص102.

(19) سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، د.ت ص248.

(20) عزام أبوبكر الطيب، مرجع سابق 1992م، ص29.

(21) مكي شبيكة تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان فيالقرن التاسع عشر، د ت،،ص706.

(22) محمد إبراهيم أبو سليم، منشورات المهدية، ج1، إدارة المحفوظات المركزية وزارة الداخلية، الخرطوم، ط2، 1964م.

(23) علي محمد علي، القضاء في الدولة المهدية، القاهرة، ،ط1، 2002مم، ص38.

(24) علي محمد علي، القضاء في الدولة المهدية، القاهرة، ط1، 2002م.

(25) علي محمد علي مرجع سابق.

(26) زاهر رياض تاريخ السودان المعاصر،د،ت، ص 156.

(27) زاهر رياض ن تاريخ السودان المعاصر،د،ت،ص157.

(28) أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلي الموصلي، الجزء الأول،ط1، 1404ه 1984م،ص392.

(29) مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان، في القرن التاسع عشر،

(30) مكي شبيكة، مرجع سابق، ب،ت، ص71,

(31) عفاف محمد مكاوي، أساليب المدي في الدعوة الإسلامية ،مجلة جامعة دنقلا رسالة دكتوراه منشورة،2012م، ص14.

(32) محمد بشير عمر/،تاريخ الحركة الوطنية في السودان ترجمة هنري رياض ووليم رياض، الخرطوم الدار السودانية للكتب، 1980م.ص26.

المصادر والمراجع:

(1) القران الكريم.

(2) السنة النبوية.

(3) ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بن منظور. لسان العرب.ط1.بيروت: صادر:1990م.

(4) أحمد مختار عمر وآخرون. معجم اللغة العربية المعاصر. ط 1 القاهرة، عالم الكتب: 2008م.

المراجع العربية:

(1) أحمد إبراهيم أحمد، الإدارة التعليمية بين النظرية والتطبيق، القاهرة دار المطبوعات: 2002م.

(2) أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلي الموصلي، الجزء الأول، ط1، 1984م .

(3) زاهر رياض: السودان المعاصر منذ فتح المصري حتى الاستقلال، القاهرة، 1996م

(4) سلاطين باشا السيف والنار السودان ترجمه، القاهرة: 1920م.

(5) سيف الإسلام سعد عمر، الإدارة والتخطيطالتربوي، جامعه السودان المفتوحة: 2005م.

(6) عبد الحميد محمود النعمى، مبادئ الإدارة العامة، جامعة باريس، سوربون : 1997م.

(7) عرفات عبد العزيز وبيومي، الإدارة التربوية الحديثة، القاهرة، المكتبة المصرية : 1983م.

(8) عزام ابوبكر علي الطيب، العلاقات بين الخليفة عبد الله التعايشي وقبائلالسودان : 1992م.

(9) علي محمد علي، القضاء في دوله المهدية: القاهرة مركز الدراسات السودانية: 2002م.

(10) عفاف مكاوي محمد. مجله الدراسات الإنسانية: كليه الآداب جامعه دنقلا العدد السابع، أساليب الدولة المهدية في نشر الدعوة الإسلامية بالسودان، يناير: 2012م.

(11) محمد إبراهيم أبو سليم،الخلافة وولاية العهد في المهدية، دار الوثائق المركزية 1972م).

(12) محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطاركتاب الأقضية والأحكام، ط1: 1993م.

(13) (13) مكي شبيكة: تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر بيروت: 1965م.

(14) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، بيروت :1965م

(15) مكي شبيكة، السودان في قرن، القاهرة: 1947م.

(16) نعوم شقير، تاريخ السودان، الدار السودانية: 2014م